خواطر المحرر

رقابة الناشرين:

لسنا نقصد من هذا العنوان مايفهم القارئ منه لأول وهلة، وهو وضع رقابة حكومية على الناشرين تجيز لهم طبع ماتراه متفقاً ومبادئها، ملائماً مزاجها، وتمنع ماتراه بعينيها هي - وقد تكون عين السخط والغضب - مخالفاً ماتشتهي وتريد، مباينا العرف أو المجتمع كما تعتقد؛ لسنا نريد هذا النوع مطلقاً لأنه غل للتفكير، وقيد للعقل، وتحكم في العلم لايجيزه إنسان مثقف، فضلاً عن رجل هادئ حر التفكير.

وإنما نريد حماية النشء القارئين، بل حماية الباحثين المثقفين، فهؤلاء وأولاء يعانون الأمرين في قراءة الكتب - القديمة التي يقوم بطبعها جهلاء الناشرين - قراءة صحيحة، فضلا عما يعانون في فهمها فهماً دقيقاً. ومرجع ذلك في حقيقة الأمر إلى سبب جوهري تحققناه بالتجربة والاختبار، ذلك هو سوء التصحيح العلمي واللغوي، ورداءة الترتيب والتبويب، ووجود النقص والبتر والخلط، وانعدام الفهارس المساعدة الممهدة لدراسة الكتاب، فإن أولئك الناشرين يعمدون إلى الكتب القيمة الرائجة - التي تعتبر مرجعاً للكاتب والعالم والأديب - فيطبعونها طبعاً يتحرون فيه قلة الإنفاق ليتيسر لهم منافسة المطبوع منه - إذا وجد - في مطبعة بولاق أو مطبعة دار الكتب أو مايماثل هاتين المطبعتين اللتين تتحريان الدقة والعناية المستلزمتين الجهد والمال.

ووجود رغبة كهذه كفيل بإخراج الكتاب مشوهاً مبتوراً مغلوطاً، وفي هذا مافيه من الجناية على العلم والأدب والتاريخ، وليتصور القارئ معي كتاباً مملوءاً بالأخطاء اللغوية والنحوية، مشوهاً مبتوراً، داخلة فصول أخرى منه في فصول، وليكن الكتاب لابن خلدون أو ابن الأثير أو الجاحظ أو الشهرستاني أو الفارابي أو ابن الهيثم . . أو غير هؤلاء من أعلام العرب المبرزين، يقع في يد قارئ - أيا كانت قيمته العلمية - فماذا؟ يفيد من هذا الكتاب، وماذا يكون حكمه على المؤلف المسكين؟ هل يرميه بالجهل وفي يده دليل على صحة دعواه؟ أم يرمي نفسه بعدم الفهم، وقد يكون متمكناً مما يقرأ؟ أم إنه يفطن إلى سر المسئلة فيعرف أن التقصير كل التقصير يرجع إلى شره الناشر وجهله؟ الحق أنهم قليلون جداً أولئك الذين يدركون هذه الحقيقة، وأقل من هؤلاء أولئك الذين يعنون بدراسة هذه المسئلة، فيخسر العلم والأدب والتاريخ، بل تخسر الإنسانية قراء قد يكونون في يوم ما علماء المستقبل.

لست مغاليا إذا قلت إني أعرف كثيرين من الشباب الناهضين، يودون دراسة المؤلفات العربية القديمة، ولكن يمنعهم من ولوج بابها، عدم الفهم الناتج عن رداءة الطبع وسوء التصحيح وعدم التبويب والترتيب، يضاف إلى ذلك كله الاختزال والخلط والملاحظان في أكثر المؤلفات المطبوعة في أكثر المطابع الأهلية.

ولست أرى حلا لهذه المشكلة سوى فرض الرقابة الأدبية ـ لا الإدارية ـ على أولئك الناشرين، والسبيل إلى تحقيق ذلك يكون بما يأتى :

تعهد الحكومة إلى «دار الكتب» بمراقبة مطبوعات هذه المطابع ، فلا تجيز لها طبع كتاب من الكتب القديمة — التى مات مؤلفوها — إلا بتصريح خاص ، يشترط للحصول عليه أن يتعهد الطابع بتصحيحه تصحيحاً — إن لم يكن دقيقاً فلا أقل من أن يكون قريباً إلى الدقة ـ ، وأن يثبت ـ إلى ذلك ـ أن لديه مصححاً فنياً يوثق به ، وليكن هذا المصحح من المتخرجين فى الأزهر أو دار العلوم أو الجامعة ممن لا يجدون عملاً ، فيضطرون إلى تزجية الوقت فى غير ما يفيد.

وما نظن هذا الذى نقترحه غريباً ، فإن وزارة المعارف تشترط لصرف الإعانة السنوية المدارس الأهلية ، وجود المدرسين الفنيين من حملة الشهادات المعترف بها لدى الوزارة .

وما نظن الكتاب القيم بأقل شأناً من مدرسة ، إن لم يكن خيراً من مدارس عدة .

وليلاحظ القارىء أنه لو نفذ هذا الاقتراح نكون قد أصبنا عصفورين بحجر واحد :

الأول : تخريج قراء متقنين ، بتمهيد القراءة الصحيحة وتيسير سبلها لهم فى الكتب

الثانى : إيجاد عمل مشرف لطائفة من شباب الأمة المتقنين .

فهل لنا أن نطمع فى تحقيق ذلك ، حتى نستطيع الوقوف إلى جانب المستشرقين الذين يدلون علينا بعلمهم الذى حصلوه من كتبنا العربية التى عنوا بطبعها ؟ ذلك ما نتوجه به إلى وزارة المعارف المهيمنة على الثقافة مخلصين .

البارون عمر رولف

[بقية المنشور على الصفحة ٢٣٠]

وفى نفس السنة أيضاً زار مركز التهذيب الاسلامى فى يوغوسلافيا المتاخمة لبلاده ، وفى سنة ١٩٣١ أسس فى فينا جمعية للطلبة تعرف بـ (Federation of the Oriental Culture) ، وفى سنة ١٩٣٢ ألقى محاضرة عن الإسلام فى مدينة براغ ، كان لها وقع عظيم فى النفوس ، وفى السابع من شهر سبتمبر من السنة نفسها أصيب بفقد والده ، الذى وإن كان لم يعتنق الاسلام ، فقد كان يحث ولده ويشجعه على نشاطه فى البحث فى الإسلام والعمل به .

وفى الحادى عشر من الشهر المذكور والسنة نفسها ، أسس بمعونة الدكتور «زكى على» وتحت رعاية بعض رجال المفوضية المصرية فى فينا جمعية (الاتحاد التهذيبى الاسلامى فى أوستريا) (Federationcf The Islamic culturefor Austria) وانتخب هو رئيساً لها ، فكان من ذلك الخير كله للمركز التبشيرى الاسلامى فى برلين بمعاضدته له . وسيقيم البارون فى الهند بضعة أشهر ثم يترح عنها إلى بلاده . وقد وعدنى بأن يزور مصر فى فرصة أخرى ؟

عليكرة [الهند] إحسان سامى حقى